توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

اعتدت فيما تقدم من مجلدات ان يكون موضوع التوطئة الاساسي الحديث عن حياة المؤلف أو المؤلفين ، وهذا ما سوف أبدله في هذا المجلد ، ذلك ان موضوعه الاساسي أشبه بمذكرات شخصية فيها ترجمة لحياة المؤلف وتعريف بوسطه وعصره ، وهذا المؤلف هو الفارس العربي ، الشاعر الاديب والسياسي أسامة بن منقذ ، الذي غالبا اذا ما أريد التعريف به قيل « صاحب كتاب الاعتبار ».

ويعد كتاب الاعتبار على رأس ادبيات عصر الحروب الصليبية وأهمها ليس لما حواه وانفرد به من مواد اخبارية ثمينة جدا فحسب بل لتميزه باللون العربي النقي ، فنحن لدى تعاملنا مع نصوص المصادر العربية للحروب الصليبية نلاحظ أنها ركزت على افعال الحكام والقادة الذين كان جلهم من أصل غير عربي ، تركماني أو كردي أو غير ذلك ، وهمشت دور العناصر العربية السياسية والقبلية ، حتى باتت صورة الصراع اشبه بصراع بين قوى أجنبية مسلمة من جانب ومسيحية من الجانب الآخر على بلاد الشام ومصر والجزيرة .

وصحيح ان القوى السياسية العربية من التكتلات القبلية قد تأثرت كثيرا إثر قدوم السلاجقة ، وهو ما شاهدناه في الجزء الاول من هذه الموسوعة ، لكن الآن من خلال ماكتبه اسامة مع معطيات أخرى يمكننا التأكيد على ان دور القوى العربية والتكتلات القبلية ظل فعالا واساسيا ، واذا ما أضيف لهذا حقيقة كون سكان بلاد الشام عربا في المدن والارياف . هنا يمكننا شطب مقولة الصراع بين

قوتين أجنبيتين ، واستبدالها بأخرى بأن الصراع بين غزاة أجانب في كل شيء قدموا من اوروبا وبين أصحاب البلاد العرب .

وحتى تزداد الفائدة من كتاب الاعتبار صنعت له مدخلا وخاتمة ، أودعت في المدخل عدة تراجم لاسامة ، كما اودعت في الخاتمة ترجمتين لاثنين من الاعلام الذين كان لاسامة بهم علاقة مباشرة .

وعلي أن أشير إلى أن كتاب الاعتبار نشر اكثر من مرة ، اعتمادا على مخطوطة وحيدة مبتورة الأول كانت موجودة في مكتبة دير الاسكوريال قرب مدريد في اسبانيا ، ومن أشهر الذين عملوا على تحقيق هذا الكتاب فيليب حتي ، وقد نشرها في برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣٠ ، وقد بذل الدكتور حتي جهودا كبيرة لدى تحقيقه لنص الكتاب ، لكنه اخفق في كثير من الاماكن في الوصول الى القراءة الصحيحة ، وتميز الدكتور حتي بأنه أودع في الحواشي رسم الكلمات التي لم يتوصل الى قراءتها بالشكل الصحيح أو شك بها ، وكان لهذا فوائده الجليلة ، لأن مخطوطة الكتاب مفقودة الان ، وبعد الدكتور حتي أعيد نشر الكتاب كاملا او مختصرا اكثر من مرة وفي أكثر من مكان ، ومع هذا ظلت النجاحات هي هي .

ويخيل لي أنني في عملي الآن تمكنت من تقويم النص وازالة مشاكله ، وساعدني على ذلك عدة عوامل ، بينها الانتماء الجغرافي، والممارسة الطويلة والخبرة المعمقة بكتب التراث العربي ، ولتخصصي الآن واذقطاعي شبه الكامل للعمل في أحداث الحروب الصليبية .

ان لفة أسامة في كتابه « الاعتبار » واصطلاحاته ممازالت قائمة حتى الآن في بيئة مدينة حماه ، وهي مدينتي التي نشأت بها ، فضلا عن أنني عشت عدة سنوات في المنطقة القريبة من شيزر ، وكان لهذا فوائده .

الكتاب الآن بين يدي القراء جميعا ، وأملي كبير في أن أكون قد وفقت في عملي ، والله المستعان وله الحمد والمنة ، ومنه جل وعلا أسأل دوما التوفيق والسداد .

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

سهيل زكار

دمشق ٩ . ٤ . ١٩٩٥

obeikandl.com